

فلسفة التعلم العقلي عند ديكارت
اعداد الطالب : ماهر عباس مهدي
اشراف الدكتور : رائد عبيس مطلب
المقدمة

ويؤكد اصحاب المذهب العقلي على قدرة الانسان الى الوصول الى المعرفة اليقينية . وبالتالي فان العلم الانساني لا يقف عند حد هم اصحاب المذهب العقلي اليقيني .

فالفيلاسوف ليس ملزما على غرار عالم الطبيعة بإرجاع كل شيء الى الظواهر المحسوسة الخاضعة للملاحظة , اي ليس ملزما بان يقتصر على المعرفة التجريبية. وهنا تبرز اهمية المعرفة العقلية وقد حاولت من جانبي دراسة هذا الموضوع لأهميته لنا طلاب الفلسفة حيث تعتبر المعرفة العقلية لدى ديكارت تسعى للكشف عن معنى العالم الطبيعي باستخدام نهج عقلاني من خلال العلم والرياضيات. ويهدف هذا البحث في معرفة المذهب ذات النزعة العقلانية الحديثة والتي اخذت تنظر في العقل البشري في نشاطه العقلي وكان من نتائج هذا المذهب ذات النزعة العقلية الفكر الديكارتي اذ نحن بصدد دراسته باعتباره من ابرز الشخصيات الفلسفية في الفكر الغربي الحديث.

وقد قسمنا هذا البحث الى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة . وتناولنا في التمهيد تعريف العقل لغة واصطلاحا ومفهوم العقل السليم بشكل عام ولدى ديكارت بشكل خاص وكذلك التعريف بالمذهب العقلي عند الفلاسفة .

وتتناول المبحث الاول المعرفة العقلية عند ديكارت وفي المطلب الاول منه اهمية المعرفة العقلية عند ديكارت والمطلب الثاني اهمية المنهج العقلي الديكارتي اما المبحث الثاني فتناول اسس المنهج العقلي الديكارتي , وتناول المبحث الثالث قواعد المنهج العقلي الديكارتي.

ولقد اعتمدت المنهج التحليلي الوصفي, هو المنهج المناسب لتحليل افكار ديكارت الفلسفية في منهجه. تمهيد

العقل : يعرف العقل لغة جمع عقول نور روحاني به تدرك النفس ما لا تدركه الحواس . ولقد سمي العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه من التورط في المهالك اي يحبسه (1).
اما العقل اصطلاحا بوجه عام : ما يميز به الحق من الباطل والصواب من الخطأ يطلق على اسمى صور العمليات الذهنية بعامة , وعلى البرهنة والاستدلال بخاصة.

(1) المنجد في اللغة والأدب والعلوم , لويس معلوف , المطبعة الكاثوليكية , بيروت , ط9 , 1996, ص 520.

ويراد به ايضا المبادئ اليقينية التي يلتقي عندها العقلاء جميعا ,وهي مبدا الهوية ,ومبدا عدم التناقض ,ومبدا العلية , ويطلق اللفظ الاجنبي ايضا على ما يساوي السبب , ومن الاسباب الكافية (Raison suffisantes) عند ليبنتز قسم العقل من قديم الى نظري (Raison Theorique) ينصب على ادراك المعرفة . وعملي (Raison prayique) ينصب على الاخلاق والسلوك . وعزز كانط هذه التفرقة بكتابة نقد العقل النظري ونقد العقل العملي . وسماه اليونان "Nove"

والعقل عند المدرسيون خاصة ما يعين على التجديد واستخلاص المعاني الكلية , وهو وسيلة المعرفة فيدرك الجزئي كما يدرك المعاني العامة .

والعقل السليم : استعداد فطري لإصابة الحكم والتميز بين الحق والباطل وبه قال ديكارت العقل يمكن ان يعرف فهو في المقام الاول : ملكة ادراك ما هو كلي وضروري سواء كان ماهية او قيمة . ويمكن ان نحدد العقل بانه "قوانين الفكر الضرورية الكلية " وبما ان العقل ملكة فقد عبر عنها افلاطون وكذلك ارسطو هو قوة او ملكة او جزء من النفس ويميز فيها سائر قوى النفس التي هي الاحساسات والخيال والشهوة والانفعال .

ويميزان بين النفس العقل احيانا . على اساس ان النفس هي مبدا الحياة وكل الوان النشاط الحيوي . بينما العقل هو المعرفة والرؤية والتقدير . وفي هذا المجال يستخدم ارسطو التعبير "النفس الناطقة" للدلالة على العقل وهذا عينه نجده بعد ذلك عند ديكارت الا انه يدرج بين وظائف العقل : الاحساس , التخيل , والانفعال , والشهوة . وبما ان العقل ملكة , يفهم عند المشائية بعامة الى عقل نظري , وعقل عملي⁽²⁾ .

المذهب العقلي

اما **المذهب العقلي** : في استعمال الفلاسفة هو ما يميز النظرية الفلسفية حين تزعم انه على طريق الاستدلال العقلي الخالص وبغير لجوء الى اي مقدمات تجريبية يمكننا ان نصل بها الى معرفة جوهرية عن طريق العالم .

وهناك ايضا استعمال معروف للكلمة تشير فيه الى الرأي القائل بانه لا يجوز الايمان بخوارق الطبيعة , وان دعاوى الدينية ينبغي ان تختبر بمحك عقلي .

ويبدو انه في حال عدم وجود الدليل الواضح على ما هو نقيض لذلك , فان المعنى الاول للكلمة هو الذي يجب ان يؤخذ به التأليف الفلسفي الحديث وبهذا المعنى يستشهد بكل من ديكارت وليبنتز وسبينوزا على انهم امثلة كلاسيكية للمذهب العقلي الحديث.

(2) بدوي عبد الرحمن , الموسوعة الفلسفية , الجزء الثاني , المؤسسة للدراسات والنشر , بيروت , ط 1 , 1984 , م ص 73 .

اذن المذهب العقلي على النقيض من المذهب التجريبي الذي يرى ان التجربة اساس ضروري لمعرفة كلها حيث ان المعرفة لديه تتطلب مقدمات تجريبية. وان اغلب التجريبيين سلموا ان القضايا الصادقة في الرياضة قبلية. ولكنها صورية بحيث لا نقدم لنا اي معلومات عن طبيعة العالم .
وان هناك اتجاه ان الفيلسوف العقلي هو من يزعم ان لديه معرفة تركيبية قبلية. وانه يعرف حقيقة العالم معرفة تركيبية قبلية ,وان يعرض حقيقة العالم معرفة كلية او جزئية عن طريق العقل الخالص اما ليبنتز فهو الذي ينظر في العادة على انه اكثر العقلين تطرفا .رغم ان جميع القضايا الصادقة يمكن من حيث المبدأ معرفتها بواسطة الاستدلال العقلي الخالص .وان التجربة ليست الا بديلا للعقل ادنى منه مرتبه (3).

المبحث الاول

المعرفة العقلية عند ديكارت

المطلب الاول : اهمية المعرفة العقلية عند ديكارت

المعرفة العقلية عند ديكارت * هي المعرفة الصحيحة لان المعرفة التي لنا من حواسنا مشكوك في صدقها والمعرفة الصحيحة هي التي تأتي عن طريق العقل فهي معرفة موثوقة وموضوعية ثابتة وواحدة .

* ولد رينه ديكارت في عام 1596 في لاهاي في مقاطعة تورين في فرنسا حيث يطلق على هذه البلدة الان (اسم ديكارت). وكان والده احد النبلاء .مما يعني انه لم يتكبد عناء في كسب رزقه ,وارسل الى مدرسة اليسوعيين في لافيش في نجو ,وفي هذه المدرسة الكاثوليكية تعلم اللغتين الاغريقية واللاتينية ,كما تعلم الرياضيات والفلسفة الاسكولائية المدرسية.
وكان ديكارت دائما ما يكرس ساعات الصباح للتفكير العميق .وكان يخصص باقي اليوم للراحة والاسترخاء (4).

(3) ينظر : المصدر السابق , ص 75.

(4) اقدم لك ديكارت , ترجمة امام عبد الفتاح امام, المجلس الاعلى للثقافة , 2001, ص 8.

وفي الثلاثينيات والاربعينيات من القرن السابع عشر كتب رسائله المختلفة, واصدرها رغم المنازعات التي كانت بينه وبين اللاهوتيين والهولنديين وقد كان فيلسوف وعالم رياضي , ومتقف موسوعي ويعتبر من مؤسسي الفلسفة الحديثة , والرياضيات الحديثة والكثير من الافكار ومن اشهر مؤلفاته

- مقال في المنهج 1637.

- تأملات في المنهج 1637 .

- مبادئ الفلسفة 1644. وتوفي 1650 (5).

ان العقل هو الشئ الوحيد الذي يميز به بين الصح والخطأ وهو المقدرة لدى الانسان على الحكم المتميز بين الحقيقة والخطأ وهو اهم ما يميزنا كبشر (6).

ومن خلال العقل يمكن ان نفرق بين الحق والباطل والخير والشر . حيث ان الانسان يتميز عن الحيوانات بهذه القيم ايضا. ان جوهر فعل العقل او ملكة ربانية .حيث يعدل الخالق بين البشر في تقييم ملكة العقل .

العقل عند ديكارت .الصواب (الحق) والصدق هو نقيض الخطأ. والفرق بينهما الامر الثاني الذي لا ينكر.

في التصورات العقلية والاشياء الخارجية يوجد مطابقة بين الصدق والحق .حيث يكون الامر صادقا حينما يكون تطابق بينا في الذهن والخارج والعكس صحيح ايضا.

وكذلك يعرف العقل بتعريف قريب الى التعريف السابق هو "قوة الاصابة في الحكم" وهو الصدق الثابت في الحكم .وتجاوز الوقوع في الخطأ. ان الفكر هو العقل عند ديكارت وبه يتميز الانسان العاقل حيث ان الافكار هي التي تمثل ديمومة التفكير الواعي (7).

(5)تومي عبد القادر ,اعلام الفلسفة العربية في العصر الحديث ,مؤسسة كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ,الجزائر ,2011,ص82.

(6) تومي ,عبد القادر ,اعلام الفلسفة العربية في العصر الحديث , ص64.

(7) ديكارت ,حديث الطريق ,ترجمة ,عمر الشارني, مركز الدراسات العربية ,ط1 ,بيروت ,2008,ص86.

المطلب الثاني :اهمية المنهج العقلي الديكارتي

يعد المنهج الديكارتي احد مناهج التفكير والتحليل العقلي في تاريخ الفلسفة والتي استمدت مسماها من الفيلسوف الفرنسي الشهير رينه ديكارت ابرز الفلاسفة في التاريخ . وشهرته ومكانته تضاهي ما بلغه فلاسفة اليونان القدامى من مكانة مثل افلاطون وسقراط وارسطو .وكان النهج الديكارتي الذي اسسه ديكارت ووضع قواعده واحكامه سببا في منحه لقب ابو الفلسفة الحديثة , واعتباره زعيما للنزعة العقلانية.

اذ ان منهجه في التفكير جاءت قواعده معتمده على استخدام العقل دون سواه في التوصل الى الحقائق والتمكن من حل جميع القضايا الفكرية الفلسفية.

ان من اهم العوامل التي ساعدت على شهرة ديكارت وتلقيبه ابو الفلسفة الحديثة ,هو المنهج الجديد الذي ابتكره واقام عليه فلسفته كلها ,والذي يغاير تمام التغاير مناهج البحث الفلسفي التقليدية والتي كانت سائدة حتى عهده والمتمثلة بالأصح المنهج الاستدلالي الارسطي وكذلك المنهج الاستقرائي البيكوني ,او منطق بيكون الذي ظهر حيز الوجود عام 1620 تحت عنوان الاركانون الجديد ⁽⁸⁾.

(8) فضل الله مهدي ,فلسفة ديكارت ومنهجه ,دار الطليعة للطباعة والنشر ,بيروت ,ط 3 1996,ص13.

المبحث الثاني

اسس المنهج العقلي الديكارتي

اسس المنهج العقلي الديكارتي

يمكن ان نميز في منهج البحث الفلسفي الديكارتي الذي يعتمد على وضوح المبادئ و يقين النتائج وبين الاسس التي قام عليها هذا المنهج وقواعد هذا المنهج حيث يعبر ديكارت عن المنهج الفلسفي الصحيح الذي يمتاز بالقوة . ويجعله اقرب ما يكون الى المنهج الرياضي. بما يتصف به من يقين وصدق والابتعاد عن الشك وبالنتائج التي يصل اليها حيث يمكن تجديد اهم اسس المنهج الديكارتي التي لخصها ديكارت وهي:

- البداهة .

- الاستنباط .

- الحدس .

البداهة :- هي الرؤية الذهنية المباشرة للأشياء , او العيان المباشر لها. دون ان يأخذنا ادنى شك في صحة هذه الرؤية او العيان ,او يمكن القول ان البداهة نوع من المعرفة المباشرة .ينتقل الذهن او العقل فيها من المعلوم الى المجهول, انتقالا, ليس فيه تفكر او زمن كقولنا الكل اكبر من الجزء, المثلث شكل مؤلف من ثلاثة خطوط⁽⁹⁾.

واهم ما يميز الرؤية العقلية المباشرة عن الرؤية الحسية التي تصل الى درجة البداهة او الرؤية العقلية (الذهنية) لأنها تقوم على الحواس والحواس خادعة في الاحيان ولا يمكن ان تصلح اساسا للمعرفة اليقينية. كما يميز بين احكام البداهة واحكام الخيال .فالخيال لا ضابط له واحكامه مختلفة بين شخص واخر ,بعكس البداهة التي لا تختلف في حكمها باختلاف الاشخاص . اما الاسباب التي احكام البداهة لا يرتقي اليها الشك . فهي عند ديكارت تعود الى طبيعة الفكرة البديهية نفسها . التي تتميز بخاصيتين الوضوح من ناحية والتميز من ناحية اخرى. وتكون قاعدة عامة هي ان الاشياء التي تذهنها بوضوح تام وتميز تام هي صحيحة كلها⁽¹⁰⁾.

(9) فضل الله مهدي, فلسفة ديكارت ومنهجه, ص104.

(10) المصدر السابق, ص105.

الوضوح :- الفكرة الواضحة هي الفكرة الجلية بحد ذاتها لا تحتاج الى تفسير . لان العقل لا يشك فيها عكس الافكار الغامضة او المعدة التي تحتاج الى التفسير والتوضيح لتكون مقبولة لدى العقل (11).

التمييز :- الفكرة المتميزة هي الفكرة التي لا يلتبس معناها في الذهن مع فكرة اخرى , يتميز الذهن بينها وبين غيرها من الافكار , سواء منها الواضحة او غير الواضحة مثلا انا ارجب , انا احب , انا اتخيل , يدخل في نطاق الافكار البديهية الواضحة المتميزة فيما بينها من الافكار الاخرى (12).

ويقول ديكارت في حدة البداهة "لا اعني بالبداهة الاعتقاد في شهادة الحواس المتميزة او احكام الخيال الخادعة ولكنني اعني بها تصور النفس السليمة المنتبهة, تصورا هو من السهولة والتميز , بحيث لا يبقى اي شك فيما نفهمه اي التصور الذي يتولد في نفس سليمة منتبهة من مجرد الانوار العقلية " (13).

الاستنباط :- وهو عملية عقلية , تنتقل بواسطتها من فكرة تكون عادة بديهية الى فكرة اخرى جديدة , تكون نتيجة لازمة لها . ومن هذه الفكرة او النتيجة الى اخرى او نتيجة اخرى مجهولة لنا تصدر عنها بالضرورة فالاستنباط , نوع من الاستدلال الرياضي تنطلق فيه من فكرة اولى بديهية لاكتشاف حقائق جديدة مجهولة لنا , ليست موجودة في الفكرة الاولى او لا تتضمنها , كما هو الحال بالنسبة الى القياس او الاستدلال للقياس , العلم عند ديكارت استنباطي يضع المبادئ البسيطة ويتدرج منها الى النتائج اللازمة (14).

ولاشك ان الاستنباط اقل مرتبة من البداهة فالفكرة البديهية لا تثير ادنى شك في صدقها اما الفكرة المستنبطة يمكن الشك فيها , لأنها لا تكون بديهية بالضرورة , بالرغم من اعتمادها كل فكرة بديهية وذلك لأنها نتيجة من التفكير في الزمن .

الا ان الاستنباط الديكارتي نوع من البداهة . الى حد ادماج الاستنباط بالبداهة . فاذا كانت البداهة تعني ادراك الطبائع البسيطة فان الاستنباط ليس الا ادراك العلائق والروابط القائمة بين هذه الطبائع البسيطة عن طريق البداهة (15).

(11) كرم يوسف , تاريخ الفلسفة الحديثة , دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع , ص 75.

(12) فضل الله مهدي , فلسفة ديكارت ومنهجه , ص 106.

(13) ديكارت , مقال في المنهج , ترجمة محمود احمد الخضير , الهيئة العامة للنشر والتوزيع , الاسكندرية , ط 3

1985, ص 93.

(14) نفس المصدر السابق , ص 93.

(15) ينظر فضل الله مهدي , فلسفة ديكارت ومنهجه , ص 107.

إذا كان من الممكن أن يكون الاستنباط المستند إلى فكرة بديهية بديها كذلك. فإن الاستنباط المستند إلى فكرة غير بديهية لا يمكن أن يكون بديها مما كان صحيحا في صورته الخارجية .
 أن جميع النتائج التي تستنبط من مبدأ ليس بديهي . لا يمكن أن تكون بديهية ,مهما يكن الاستنباط من حيث صورته صحيحا .ويترتب على هذا الأساس أن جميع الاستدلالات التي أقاموها على تلك المبادئ لم تستطع أن تؤيدهم إلى المعرفة اليقينية لشيء واحد ولم يستطع أن تجعلهم أن يتقدمون خطوة واحدة في البحث عن الحكمة (16).

الحدس:- هو معرفة عقلية مباشرة حيث قال ديكارت "لا أقصد بالحدس شهادة الحواس المتبادلة أو حكما خادعا تولده مخيلة تركب موضوعها بطريقة سيئة وإنما أقصد به التصور الذي ينشئه الفكر الخالص" (17).

وهو أي الحدس قريب من التصور .كما يرى المدرسيون حيث أن الحدس والتصور ليس شيء واحد حيث أن الحدس لا يعتمد على التجربة والحدس في شيء وليس وليدها . أن الحدس هو استيعاب مباشرة ليصيره العقل ورؤية طبيعة الشيء واستيعاب لتلك الطبيعة بشكل مباشر ولقد تأثر الفلاسفة العقلين بمنهج ديكارت وتقييمه للمعرفة واعتبر الحدس من ضمن هذه الأشياء حيث كان الحدس معرفة عقلية مباشرة عند سبينوزا (18).

المبحث الثالث

قواعد المنهج العقلي الديكارتي

قواعد المنهج العقلي الديكارتي

بعد أن أوجزنا شرح التحليل الديكارتي للعمليات التي يقوم بها في سبيل المعرفة :- العقل بأقوى معناه Le Bon sens نريد الآن أن نلم بقواعد منهجه.

يعني ديكارت بالمنهج "قواعد وثيقة سهلة تمنع مراعاتها الدقيقة من أن يؤخذ الباطل على أنه حق ,وتبلغ بالنفس إلى المعرفة الصحيحة بكل الأشياء التي تستطيع إدراكها ,دون أن تضيع في جهود غير نافعة بل ,وهي تزيد في ما النفس من علم بالتدريج" (19).

وهو يرى أنه كلما اتجهنا نحو البساطة وكلما اقتربنا في نشاطنا العلمي على النور الفطري كان وصولنا للحقيقة أمن وأيسر .وذلك لأنه يقول أن النفس تشتمل على شيء إلهي أودعت فيه البذور الأولى للأفكار النافعة , وإذا أثقلت هذه البذور بالدروس المعقدة ,لم يجن منها إلا ثمرات غثة لا يرجى منها نفع

(16) ينظر : ديكارت , مقال في المنهج , ترجمة محمود احمد الخضيرى, ص18.

(17)رينه ديكارت, قواعد توجيه الفكر ,ترجمة سفيان سعد الله ,دار نبراس للنشر والتوزيع,2001,ص36.

(18)ابو ريان محمد علي ,تاريخ الفكر الفلسفي ,دار المعرفة ,الجامعة الاسكندرية ,1996,ص50.

(19) رينه ديكارت ,قواعد توجيه الفكر ,ترجمة سفيان سعد الله .ص103.

دائم او خير مقيم ⁽²⁰⁾. ومن هذه الناحية قال انه شاهد ان تعدد القوانين في الدولة كثيرا ما يهيئ المعاذير للنقائص ⁽²¹⁾. وعلى ذلك رأى ان يستبدل بتعليمات المنطق الكثيرة المعقدة اربع قواعد سهلة بسيطة من المستطاع تطبيقها بنجاح في كل انواع البحوث النظرية.

القاعدة الاولى :- وتسمى قاعدة اليقين ونصها هو "الا اقبل شيئا على انه حق ,ما لم اعرف يقينا انه كذلك: بمعنى ان اتجنب بعناية التهور ,والسبق الى الحكم قبل النظر ,والا ادخل في احكامي الا ما يتمثل امام عقلي في جلاء وتميز ,بحيث لا يكون لدي مجال لوضعه موضع الشك " ⁽²²⁾.

وفي اعتقادي ان المعرفة التي تنطبق عليها هذه القاعدة هي البداهة لان المعرفة البديهية تمتاز بالبساطة والوضوح والتميز , ثم لأنها تشتمل على يقين حاصر , اي الاعتقاد الجازم بان موضوع المعرفة هو كذا مع الاعتقاد في نفس الوقت بانه لا يمكن ان يكون الا كذا, مثل القول بان للمثلث ثلاثة اضلاع, وانه اذا تساوى شيان كل منهما ساوى شيئا ثالثا كان متساويين وغير ذلك ⁽²³⁾.

ان الافكار التي تبقى في عقولنا التي لا يمكن ان يشك بها او يرفضها كل ذي عقل سليم ,يراعى فيها ثلاثة مبادئ:

- 1- **عدم التسرع في اطلاق الاحكام** لان التسرع من عيوب الانسان.
 - 2- **تجنب الميل مع الهوى :-** لكي لا يبعد الباحث عن المنهج العلمي الصحيح الذي يجب اتباعه في البحث وهذا المبدأ يمثل التأييد العاطفي العشوائي للأفكار دون بحث وتمحيص .
 - 3- **عدم قبول شيء غير بديهي :-** لان قبوله يورث الاضطراب في الذهن لما فيه من غموض افكار وهذا يقضي ابتداء قبول اي شيء .سواء كان ذلك فكرة ,او رايًا او معتقد الا اذا توفر فيه شرط البداهة كما سبق ان راينا الوضوح التام والتميز التام ⁽²⁴⁾.
- ديكارت يريد منا على ان لا نسلم شيئا الا انه حق بالعلم الذي يعنيه وهو الادراك بالحدس المباشر او غير المباشر او الاستنباط ⁽²⁵⁾.

⁽²⁰⁾ ينظر نفس المصدر ,ص103.

⁽²¹⁾ ينظر نفس المصدر ,ص29 و 30.

⁽²²⁾ ديكارت , مقال في المنهج ,ترجمة محمود احمد الخضير ,ص96.

⁽²³⁾ ينظر , المصدر السابق ,ص96

⁽²⁴⁾ فضل الله مهدي ,فلسفة ديكارت ومنهجه,ص108-109.

⁽²⁵⁾ كرم يوسف ,تاريخ الفلسفة الحديثة ,ص70.

القاعدة الثانية :- تسمى بقاعدة التحليل وبها ينبغي ان تقسم المعضلة التي تدرس الى اجزاء بسيطة على قدر ما تدعو الحاجة الى حلها على خير الوجوه. والواقع ان هذه القاعدة متصلة بالتالية، حتى ان ديكارت جعلها في القواعد قاعدة واحدة حيث قال "ينحصر المنهج بأجمعه في ان ترتب وننظم الاشياء التي ينبغي توجيه العقل اليها لاستكشاف بعض الحقائق. ونحن نتبع هذا المنهج خطوة خطوة، اذا حولنا بالتدريج القضايا الغامضة المبهمة الى قضايا ابسط، واذا بدانا من الادراك البديهي لأبسط الاشياء كلها *ex omnium simplicissima run intuitu* فإننا نجتهد ان نرقى بنفس الدرجات الى معرفة سائر الاشياء (26).

بما ان الاشياء مركبة التي نبحث فيها فان علينا ان نجزئها الى ما يمكن ان تسمح به من اجزاء الى ما هو ابسط واقل غموضا. فرد هذه الاشياء المركبة الى عدد محدد من العناصر البسيطة هي المبادئ والعناصر الحقيقية، من اجل حل مسألة ترد الى عناصر ومعاني ابسط ومنها يمضي الى النتائج (27). حيث ان التحليل ما هو الا تجزئة للمشكلة الى العناصر البسيطة المكونة لها ومعرفتها مباشرة سواء عن طريق البداهة او الاستنباط المركبة الى الافكار البديهية فيها (28). اي نذهب من المركب الى بسائطه ومن الكل الى اجزائه وهذا هو التحليل (29).

القاعدة الثالثة :- تسمى بقاعدة التأليف او التركيب ويعبر عنها بقوله: "ان اسير افكاري بنظام، بادئا بأبسط الامور معرفة كي اترج قليلا حتى اصل الى معرفة اكثرها تركيبا بل وان افرض ترتيبا بين الامور التي لا يسبق بعضها الاخر بالطبع" (30).

وقد ذهب الاستاذ هملان الى ان هذه القاعدة هي اساس المنهج الديكارتي، وانها اظهر القواعد اثرا عند تطبيق ديكارت لمنهجه على المعضلات، كما ان الاستاذ برنشفيك ينيه الى ان كل الذين درسوا ديكارت ومنهم جلسون لم يعنو بقوله "كي اترج قليلا قليلا" العناية الواجبة اذ ما لذي يميز المعادلات الرياضية غير التدرج شيئا فشيئا ويرى ان ديكارت يقصد من هذه العبارة التعبير عن امنيته الكبيرة وهي تطبيق المنهج الرياضي على كل العلوم ثم ان ديكارت نفسه، كما ان ديكارت يقول ان المنهج بأجمعه ينحصر فيها وهو ايضا يرى ايضا ان العالم الذي لا يتبع هذه القاعدة في الترتيب ممثله كمثل الرجل الذي يريد ان يرقى منزلا من اسفله الى اعلاه فيحاول ان يثب وثبة واحدة، ضاربا الصفح عن السلم المجهول لهذه الغاية، او غير مبصر اياه (31).

(26) ديكارت، مقال في المنهج، ترجمة محمود احمد الخضير، ص97.

(27) ينظر، بدوي عبد الرحمن، الموسوعة الفلسفية، ص492.

(28) فضل الله مهدي، فلسفة ديكارت ومنهجه، ص109.

(29) كرم يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص91.

(30) ديكارت، مقال في المنهج، ترجمة محمود احمد الخضير، ص97.

(31) ينظر، المصدر السابق ديكارت، ص97.

حيث يذكر وجوب ارجاع القضايا الاكثر غموضا وتركيبا الى قضايا اقل غموضا وتركيبا وان علينا ان نبدأ من هذه الاخيرة ابتغاء الوصول صعودا الى نفس الدرجات الى معرفة القضايا الاخرى ويحدد ديكارت طريقه التقدم في المعرفة من الاستنباط الى الاشد تركيبا (32).

ان هذه القاعدة لها فرعان :-

الاول:- التدرج من المبادئ الى النتائج وذلك بان ننظر اولاً في حد من حدود المسألة , ثم في حد اخر , ثم بالنسبة بينهما ثم في حد ثالث وهكذا على جميع الحدود ونسبها.

الثاني :- وهو افتراض النظام حين لا يتبين نظام الحدود , ثم استخراج النتائج بطريقة تركيبية وهو نظام (الاسباب) الذي بموجبه تلزم معرفة حد من معرفة حد سابق لزوماً ضرورياً واذا لم ينتج النظام المفروض افتراض نظاما اخر , الى ان نصل الى النظام الملائم , فهنا يدخل العقل اذ لا يقاوم العلم الا بالنظام (33).

القاعدة الرابعة :- قاعدة الاستقراء التام او الاحصاء او التحقيق , وهو يعرضها في هذه العبارة الموجزة "ان اعمل في كل الاحوال من الاحصاءات الكاملة والمراجعات الشاملة ما يجعلني على ثقة من اني لم اغفل شيئاً" (34).

والغرض من هذه القاعدة تكميل العلم وذلك بان نمر بحركة فكرية متصلة على كل الموضوعات التي بغرضنا , وان تحيط بها في احصاء كاف ومنهجي . وفي الواقع انه قد تتعدد حدود الاستدلال في مسألة من المسائل بحيث يصبح من المستحيل ان نصل بالبداهة الى اقامة علاقة بين الحد الاول والحد الاخير اي ان لوصول الى النتيجة لا يكون من عمل البداهة , واذا فوظيفة هذه القاعدة هي مراجعة الصلات او الروابط الموجودة بين الحلقات التي تكون سلسلة الاستدلالات , فاذا تأكدنا من وثاقة اتصالها جاز لنا ان نحكم حكماً صحيحاً . ويصبح هذا الحكم بالغاً من اليقين ما تبلغه البداهة.

ويجب ان تكون عملية الاستقراء التام متصلة غير متقطعة , اذ لو اننا اهملنا حلقة من الحلقات التي تتكون منها سلسلة الاستدلالات لانقطعت السلسلة ولما تبقى شيء من اليقين , اذ اننا في هذه القاعدة عرضة لتضليل الذاكرة , واذاً يجب مع احاطتنا بكل سلسلة القضايا ان ننتبه الى تميز كل واحدة عن الاخرى حتى لا يتطرق الغموض والابهام الى معرفتنا (35).

(32) ينظر , بدوي عبد الرحمن , الموسوعة الفلسفية , ص 492.

(33) كرم يوسف , تاريخ الفلسفة الحديثة , ص 71.

(34) ديكارت , مقال في المنهج , ترجمة محمود احمد الخضير , ص 98.

(35) ينظر : المصدر السابق , ص 98.

حيث انه من اجل اتمام العلم لابد للفكر يستقرا بحركة مستمرة غير منقطعة كل الموضوعات التي تنتسب الى الغرض الذي يريد الوصول اليه وان يلخصه بعد ذلك في احصاء "تعداد" منهجي وفي هذا الاحصاء او الاستقراء يتناول اذن كل ما هو له علاقة بالموضوع الذي نقوم ببحثه⁽³⁶⁾.

وهي تعني وجوب عدم اغفال دراسة اي عنصر من عناصر المشكلة ,موضوع البحث .فقد تعدت الحدود (العناصر , الاجزاء) في المشكلة واهمال دراسة اي منها يعقد الامر بحيث يصبح من المتعذر ادراك العلاقات القائمة بين الحد الاول والحد الاخر الذي يؤلف النتيجة ,اذن فالغاية المتوخاة من هذه القاعدة هي النظر مليا في كل الحدود التي تؤلف موضوع المشكلة والتي تكون سلسلة الاستدلال الاستنباطي بغية ادراك العلائق القائمة في ما بينها ادراكا بديهيًا من ناحية ثم ,استنباط الحكم النهائي الذي يبلغه مرتبة البداهة ,من حيث اليقين⁽³⁷⁾.ويختلف هذا الاحصاء او الاستقراء كما يسميه ديكارت عن الاستقراء الارسطي ,في ان الغرض منه ليس الوصول الى نتيجة من اصل ما شوهد في الجزئيات بل الوصول الى حدود تتصل بذاتها بعضها ببعض .واحيانا يمكن الاكتفاء بعدد محدود من الحدود⁽³⁸⁾.

الخلاصة

من خلال سير هذا البحث يمكن القول اننا قد توصلنا الى مجموعة نتائج تشكل خلاصة ابرزها :

- 1-ان المنهج العقلي على النقيض من المنهج التجريبي الذي يرى ان التجربة اساس ضروري لمعرفة كل ما حيث ان المعرفة لديه تتطلب مقدمات تجريبية .
- 2-اما اصحاب هذا المنهج العقلي يؤكدون على قدرة الانسان الى الوصول الى المعرفة اليقينية , فالفيلسوف ليس ملزما على غرار عالم الطبيعة بإرجاع كل شيء الى الظواهر المحسوسة الخاضعة للملاحظة , اي ليس ملزما بان يقتصر على المنهج التجريبي . وهنا تبرز اهمية المنهج العقلي في استعمال الاستدلال العقلي الخالص من غير اللجوء الى مقدمات تجريبية يمكننا ان نصل بها الى معرفة جوهرية عن طريق العالم .
- 3-وهناك ايضا استعمال معروف للمنهج يشير فيه الى الراي القائل بانه لا يجوز الايمان بخوارق الطبيعة , وان الدعاوى الدينية ينبغي ان تختبر بمحك عقلي .
- 4-ان المنهج الجديد الذي ابتكره ديكارت والذي اقام فلسفته كلها . والذي يغاير تمام التباير مناهج البحث الفلسفي التقليدي والتي كانت سائدة حتى عهده مثل المنهج الاستدلالي الارسطي وكذلك المنهج الاستقرائي البيكوني او منطق بيكون . يمكن ان نميز في منهج البحث الفلسفي الديكارتي الذي يعتمد على وضوح المبادئ ويقين النتائج ويبين الاسس التي قام عليها هذا المنهج الفلسفي الصحيح الذي يمتاز بالقوة ويجعله اقرب ما يكون الى المنهج الرياضي . بما يتصف به من يقين وصدق والابتعاد عن الشك

(36)بدوي ,عبد الرحمن ,الموسوعة الفلسفية ,ص493

(37)فضل الله مهدي ,فلسفة ديكارت ومنهجه ,ص 111.

(38) كرم يوسف ,تاريخ الفلسفة الحديثة ,ص72.

بالنتائج التي يصل اليها حيث يمكن تحديد اهم اسس المنهج الديكارتى التي لخصها ديكارت وهي البداهة ,الاستنباط والحدس.

5-ويعني ديكارت بالمنهج "قواعد وثيقة سهلة تمنع مراعاتها الدقيقة من ان يؤخذ الباطل على انه حق ,وتبلغ النفس الى المعرفة الصحيحة بكل الاشياء التي تستطيع ادراكها , دون ان تضيع من جهود غير نافعة بل , وهي تزيد في ما النفس من علم بالتدريج".

6-ويرى ديكارت انه كلما اتجهنا نحو البساطة وكلما اقتربنا في نشاطنا العلمي على النور الفطري كان وصولنا للحقيقة امن وايسر . وذلك لأنه يقول ان النفس تشمل على شيء الهى . اودعت فيه البذور الاولى للأفكار النافعة , واذا اثقلت هذه البذور بالدروس المعقدة لم يجن منها الا ثمرات غثة لا يرجى منها نفع دائم او خير مقيم . ومن هذه الناحية قال انه شاهد ان تعدد القوانين في الدولة كثيرا ما يهين المعادير للنقائص . وعلى ذلك رأى ان يستبدل بتعليمات المنطق الكثيرة المعقدة قواعد سهلة بسيطة من المستطاع تطبيقها بنجاح في كل انواع البحوث النظرية وهي (1)قاعدة اليقين , (2) قاعدة التحليل, (3)قاعدة التركيب و(4)قاعدة الاحصاء او التحقق.

قائمة المصادر

ابو ريان محمد علي ,تاريخ الفكر الفلسفي ,دار المعرفة ,الجامعة الاسكندرية ,1996.
اقدم لك ديكارت ,ترجمة امام عبد الفتاح امام, المجلس الاعلى للثقافة ,2001.
بدوي عبد الرحمن ,الموسوعة الفلسفية, الجزء الثاني ,المؤسسة للدراسات والنشر ,بيروت ,ط 1 ,1984.
تومي عبد القادر ,اعلام الفلسفة العربية في العصر الحديث ,مؤسسة كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ,الجزائر ,2011.

ديكارت ,حديث الطريق ,ترجمة ,عمر الشارني, مركز الدراسات العربية ,ط1 ,بيروت ,2008.
ديكارت ,مقال في المنهج ,ترجمة محمود احمد الخضيرى, الهيئة العامة للنشر والتوزيع ,الاسكندرية, ط3, 1985 .

رينه ديكارت ,قواعد توجيه الفكر ,ترجمة سفيان سعد الله ,دار نبراس للنشر والتوزيع,2001.
فضل الله مهدي ,فلسفة ديكارت ومنهجه ,دار الطليعة للطباعة والنشر ,بيروت ,ط 3 1996.
كرم يوسف ,تاريخ الفلسفة الحديثة ,دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع .
المنجد في اللغة والأداب والعلوم ,لويس معلوف , المطبعة الكاثوليكية ,بيروت ,ط19, 1996.